



حد سواء ترابطا بين البيولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع، وغيرها من العلوم لاحقا، ولكن أيضا التخلص من أنماط التفكير الازدواجية والمادية المحضة. وقد لعبت استقلالية النظرية السوسولوجية في البداية على العلاقات التنافسية بينها وبين الفلسفة وعلم النفس. وبهذا لم يوقظ ظهور هذا النظام المفاهيمي لعلم الاجتماع الوعي فقط، بل وضع مجموعة من التحديات رسخت صورة عامة وجديدة عن البشر تعكس نظرة مغايرة للوجود البشري، ولكن أيضا أصبحت هذه التحديات قابلة للموضوعة من طرف مجموعة من التخصصات المستقلة عن الفلسفة. ساعدت كثيرا في فهم المجتمعات وظواهرها والتنبؤ بما قد يحدث لها.

ودون التشكيك في الطابع المثير والمبتكر حقا لهذه الدراسة المتميزة، يمكن مع ذلك إبداء بعض الملاحظات والأسئلة حولها. إن وفرة الحالات التجريبية غير المعروفة، في كثير من الأحيان، التي يستدل بها الكاتب تجعل أحيانا من الصعب تتبع السياق العام للدراسة، ولا سيما في الدراسة الأخيرة التي تبدو أقل وضوحا من القسمين الأولين. وقد يتساءل المرء أيضا، لماذا مارك جولي يشير في مناسبات عدة إلى أنه يتخذ موقفا من أطروحة وولف ليبينيس؛ رغم أنه لم يبرر سبب استبعاده لبريطانيا من نطاق بحثه. وفي الواقع كان من الممكن أن تكون دراسة علم الاجتماع البريطاني مفيدة جدا. بالتأكيد ستصبح محصلة الكتاب أكثر دقة. ويبقى الكتاب في النهاية مجموعة مهمة من المعرفة المتجددة في التاريخ الاجتماعي لعلوم الاجتماع. يتميز الكتاب بثراء في نوعية مواد الدرس المرتبطة بالأسس النظرية التي سمحت للمؤلف أن يقترح تاريخا للمفاهيم المتجددة باستمرار والتي شكلت في وقت من الأوقات تصورات ثورية في مجال علم الاجتماع. الكتاب زخم بالمراجع وجريء بالتصورات، وهو بذلك يقدم أول تاريخ للعلاقة المتقاطعة بين علم الاجتماع والفلسفة.

عنوان الكتاب: ثورة علم الاجتماع من بداية نظام فكر علمي إلى أزمة الفلسفة «من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين».

المؤلف: مارك جولي

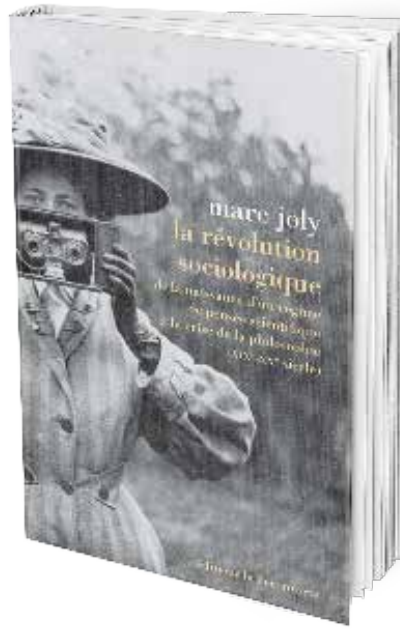
الناشر: منشورات لاديكوفيرت. باريس. فرنسا

٢٠١٧

عدد الصفحات ٥٨٣

اللغة: الفرنسية

* كاتب مغربي



لنند حتى أمام الكانطية الجديدة، ويعود الفضل في تحقيق ذلك إلى الرواد الألمان الثلاثة في علم الاجتماع. في نهاية المطاف فداخل هذا الفضاء المعرفي تمكن نوربرت إلياس أن يجعل من الممكن ترشيح مفاهيم جديدة من خلال دمج مساهمات ماركس وفرويد، وإنجاز تحقيقات تجريبية ملموسة مما أدى إلى وضع «صورة علمية حقيقية عن البشر - كصيورة وظيفية وعاطفية مترابطة ص ٢٨١»، بحيث أظهر باللموس أن هناك علاقة جدلية بين الفرد والمجتمع وبالتالي فضمير «الأنا» هو في جوهره ضمير جماعي وهنا يظهر الفصل الواضح مع الفلسفة.

وأخيرا، يختم مارك جولي في الجزء الأخير الذي يأتي على شكل مقال يستند فيه إلى نتائج إلى الأقسام الثلاثة السابقة. القسم الأول يحاول أن يبين فضل تطور نظريات علم الاجتماع المدروسة على طرق التفكير الحالي. وما أحدثه منذ ١٩٠٠ من تغييرات فكرية حتى على الفلسفة نفسها بحيث أصبح هذا النظام الفكري العلمي بإمكانه اختراع طرق جديدة وعلى هامش العلوم. يحلل جولي المواقف الفلسفية من قطب مركز العلوم إلى ما فوقه، وهذا يعني، محاولة إنشاء أو بالأحرى التخلص من العلوم. ويمكن ملاحظة أن المحور المركزي لهذه الأقسام، يستند إلى العديد من التحليلات التجريبية «الأمبيريقية».

سمحت هذه المحطات الثلاث للمؤلف في نهاية المطاف، باستنتاج عدد من النقاط الرئيسية. من بينها أن بداية عام ١٩٠٠ انطلقت مرحلة تاريخية حاسمة توجت بولادة نظام مفاهيمي للعلوم الاجتماعية، الأمر الذي تطلب على

العلمي، والفلسفة وعلم الاجتماع. والفكرة الرئيسية لهذا القسم الأول من كتاب مارك جولي تتمثل بإيجاز أن تارد (توفي في عام ١٩٠٤) تمكن حقيقة في أعماله، وخصوصا المفاهيمية من ابتكار نسق تحليلي منسجم من روافد منهجية قد تبدو للوهلة الأولى غير متجانسة كقوانين المحاكاة والابتكار، كحل وسط مقبول ومختلف لإنتاج علوم اجتماعية تهتم بموضوعات حساسة. رغم عدم توافرها مع أنماط التفكير الفلسفية السائدة في فرنسا ومناهج الجامعيين الصاعدين في علوم السياسة والأخلاق والاجتماع.

ينفتح القسم الثاني على الدرس السوسولوجي الألماني. ولتحليل ثورة علم الاجتماع في هذا البلد يركز مارك جولي على تجارب رائدة لكل من جورج سيمل وفرديناند تونيبس وماكس فيبر بدءا بالمؤتمر الأول لرابطة علم الاجتماع الألماني الذي عقد في فرانكفورت من ١٩-٢٢ أكتوبر ١٩١٠. وتكمن قيمة هذا الأرشيف في أنه يتيح للباحث الإجابة عن سؤالين: ماذا تعني هذه التجارب الثلاثة في «علم الاجتماع»؟ هل تكفي صفة عالم الاجتماع لتجعل منهم ظاهرة سوسولوجية؟ تتمثل خصوصية الدرس الألماني ربما بسبب العائق الشائع ومصدره تيار الفلسفة الكانطية الجديدة التي تميز صورة «الأنا» الراشد لا تفكر إلا بنفسها - أي أن الأنا مستقلة بذاتها - بالمقارنة مع هذا الأفق المهيمن اعتمد سيمل، وتونيبس و ويبر ثلاث استراتيجيات مختلفة. في البداية حاول الأول الهرب من علم الاجتماع والتأكيد على اشتغاله ضمن المرجعية الفلسفية، أما الثاني استمر في علم الاجتماع رغم هامشيته آنذاك، في حين وجد الثالث طريقا وسطا من خلال التوفيق بين متطلبات إجراء التحقيقات التجريبية وفي الحين نفسه وضع منهجيته تحت سلطة المنطق الكانطي، بعيدا عن الانتقادات الموجهة لعلم الاجتماع.

في القسم الأخير يتوسع مارك جولي في مسحه الزمني مبرزا كيف تشكلت نظرية نوربرت إلياس حول الارتباط «كنموذج ينهي التوافق مع قوانين المنظومة المفاهيمية للعلوم الإنسانية والاجتماعية ص ٢٧٦» في سياق تغيير مضطرب في الحقل الأكاديمي. في الواقع، إن إنشاء كراسي جامعية في علم الاجتماع ومعاهد متخصصة في جامعات هايدلبرغ وفرانكفورت بعد الحرب العالمية الثانية، ساهم بقبول «علم اجتماع» تدريجيا، ليحاول فرض معرفته، كما يتصورها سيمل مثلا، إذ يجب أن تقتصر على إنجاز دراسة مجردة من الأشكال الاجتماعية، وهذا ساهم أيضا في جعل هذا العلم يقف الند





ثورة علم الاجتماع لمارك جولي

سعید بوكرامي *

في مطلع القرن التاسع عشر والقرن العشرين عرف نسق الفكر والمعرفة والتصورات رجّة قويّة كان سببها دراسات في علم الاجتماع لباحثين جدد. أصبحت صورة «الكائن» ذي الوجود الإنساني، مبلبلة بشدة. من المؤكد أن هذه الثورة قامت دون خسائر أو متاريس، لكنها من ناحية أخرى خلفت عددا من الضحايا المعنويين، بدءا بالفلسفة. وانطلاقا من مواجهتها الحاسمة لفكرة الاستقلالية والتفرد غير القابل لاختزال الحقائق الاجتماعية. واضعة بذلك نهاية لتطور المقاربة الموضوعية للفكر البشري. ومن هنا وجدت الفلسفة نفسها محاصرة، ومطالبة بإعادة تعريف نفسها أو التخلي عن علم الاجتماع، على الأقل مؤقتا، على أسس الأخلاق وشروط إمكانية المعرفة، لتسير في مسار آخر.

مع ماكس فيبر، وجورج سيميل وفرديناند تونيز في ألمانيا، واميل دوركهايم وخصوصا غابرييل تارد في فرنسا، سيكرس علم الاجتماع، أولا، مبدأ تعدد التحديدات التاريخية والموضوعية التي تثقل كاهل الوجود الإنساني. ثم أقرت بعد ذلك باستخدام تصور جديد في البناء النظري يحترم التعقيد والقوة المعيقة للحقائق والطبيعة «الاجتماعية» لأصناف الفكر وممارسات الإنتاج ونقل المعرفة.

وَمَا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ عِلْمَ الْجَمَاعِ لَمْ يَنْتِجْ جِهَازَهُ الْمَفَاهِمِيَّ مِنْ فِرَاقٍ، وَلِهَذَا يَقْتَرِحُ الْمُؤَلِّفُ فِي مَقْدَمَةِ كِتَابِهِ إِطْلَالَ عَلَى أَسْوَ عِلْمِ الْجَمَاعِ وَيَسُوقُ هُنَا مِثَالَيْنِ عَنِ الْحَرَكَةِ الْفِكْرِيَّةِ فِي فِرْنَسَا وَأَلْمَانِيَا مِثْلًا فِي فِرْنَسَا عَلَى الْخِصُوصِ كَانِ التَّفَكِيرُ فِي الْمَجْتَمَعِ حَاضِرًا بِقُوَّةٍ وَمِنْ ثَمَّ ظَهَرَتْ فِلْسَفَةُ الْعَقْدِ الْجَمَاعِيِّ مَعَ رُوسُو، بِحَيْثُ اسْتَعْرَضَ الْبَاحِثُ مَخْتَلِفَ مَقْوَلَاتِ رُوسُو وَأَثَرَهَا فِيمَا بَعْدَ عَلَى ثَوْرَةِ عِلْمِ الْجَمَاعِ مِثْلُ: «الْحَيَاةُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَسْتَمِرَّ فِي ظِلِّ حَرْبِ الْكُلِّ ضِدَّ الْكُلِّ.. وَالْإِنْسَانُ عَدُوٌّ لِأَخِيهِ الْإِنْسَانُ لِأَنَّهُ مَحْكُومٌ بِغَرِيْزَةِ الْبَقَاءِ.. لِلْحِفَاظِ عَلَى اسْتِمْرَارِيَّةِ الْمَجْتَمَعِ لِأَبَدٍ مِنْ عَقْدِ اجْتِمَاعِيٍّ، يَتَحَقَّقُ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ تَنَاوُلِ الْفِرْدِ عَنِ جِزْءٍ مِنْ أَنَانِيَّتِهِ الشَّخْصِيَّةِ..» وَانْتِظَالَ مِنْ أَطْرُوحَاتِ الْمَفَكِّرِيْنَ الثَّوْرِيْنَ تَبَلُورَ عِلْمِ الْجَمَاعِ وَحَقَّقَ تَرَكَمًا مَعْرِفِيًّا مَرْنًا يَتَجَاوَبُ مَعَ الْعِلْمِ الْآخَرِيِّ وَيَنْهَلُ مِنْهَا بِاسْتِمْرَارٍ كَ (الفلسفة الهيرمينوطيقية والتجريبية والفيزياء والبيولوجيا والرياضيات والإحصائيات..).

وَمَا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ عِلْمَ الْجَمَاعِ لَمْ يَنْتِجْ جِهَازَهُ الْمَفَاهِمِيَّ مِنْ فِرَاقٍ، وَلِهَذَا يَقْتَرِحُ الْمُؤَلِّفُ فِي مَقْدَمَةِ كِتَابِهِ إِطْلَالَ عَلَى أَسْوَ عِلْمِ الْجَمَاعِ وَيَسُوقُ هُنَا مِثَالَيْنِ عَنِ الْحَرَكَةِ الْفِكْرِيَّةِ فِي فِرْنَسَا وَأَلْمَانِيَا مِثْلًا فِي فِرْنَسَا عَلَى الْخِصُوصِ كَانِ التَّفَكِيرُ فِي الْمَجْتَمَعِ حَاضِرًا بِقُوَّةٍ وَمِنْ ثَمَّ ظَهَرَتْ فِلْسَفَةُ الْعَقْدِ الْجَمَاعِيِّ مَعَ رُوسُو، بِحَيْثُ اسْتَعْرَضَ الْبَاحِثُ مَخْتَلِفَ مَقْوَلَاتِ رُوسُو وَأَثَرَهَا فِيمَا بَعْدَ عَلَى ثَوْرَةِ عِلْمِ الْجَمَاعِ مِثْلُ: «الْحَيَاةُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَسْتَمِرَّ فِي ظِلِّ حَرْبِ الْكُلِّ ضِدَّ الْكُلِّ.. وَالْإِنْسَانُ عَدُوٌّ لِأَخِيهِ الْإِنْسَانُ لِأَنَّهُ مَحْكُومٌ بِغَرِيْزَةِ الْبَقَاءِ.. لِلْحِفَاظِ عَلَى اسْتِمْرَارِيَّةِ الْمَجْتَمَعِ لِأَبَدٍ مِنْ عَقْدِ اجْتِمَاعِيٍّ، يَتَحَقَّقُ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ تَنَاوُلِ الْفِرْدِ عَنِ جِزْءٍ مِنْ أَنَانِيَّتِهِ الشَّخْصِيَّةِ..» وَانْتِظَالَ مِنْ أَطْرُوحَاتِ الْمَفَكِّرِيْنَ الثَّوْرِيْنَ تَبَلُورَ عِلْمِ الْجَمَاعِ وَحَقَّقَ تَرَكَمًا مَعْرِفِيًّا مَرْنًا يَتَجَاوَبُ مَعَ الْعِلْمِ الْآخَرِيِّ وَيَنْهَلُ مِنْهَا بِاسْتِمْرَارٍ كَ (الفلسفة الهيرمينوطيقية والتجريبية والفيزياء والبيولوجيا والرياضيات والإحصائيات..).

وَمَا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ عِلْمَ الْجَمَاعِ لَمْ يَنْتِجْ جِهَازَهُ الْمَفَاهِمِيَّ مِنْ فِرَاقٍ، وَلِهَذَا يَقْتَرِحُ الْمُؤَلِّفُ فِي مَقْدَمَةِ كِتَابِهِ إِطْلَالَ عَلَى أَسْوَ عِلْمِ الْجَمَاعِ وَيَسُوقُ هُنَا مِثَالَيْنِ عَنِ الْحَرَكَةِ الْفِكْرِيَّةِ فِي فِرْنَسَا وَأَلْمَانِيَا مِثْلًا فِي فِرْنَسَا عَلَى الْخِصُوصِ كَانِ التَّفَكِيرُ فِي الْمَجْتَمَعِ حَاضِرًا بِقُوَّةٍ وَمِنْ ثَمَّ ظَهَرَتْ فِلْسَفَةُ الْعَقْدِ الْجَمَاعِيِّ مَعَ رُوسُو، بِحَيْثُ اسْتَعْرَضَ الْبَاحِثُ مَخْتَلِفَ مَقْوَلَاتِ رُوسُو وَأَثَرَهَا فِيمَا بَعْدَ عَلَى ثَوْرَةِ عِلْمِ الْجَمَاعِ مِثْلُ: «الْحَيَاةُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَسْتَمِرَّ فِي ظِلِّ حَرْبِ الْكُلِّ ضِدَّ الْكُلِّ.. وَالْإِنْسَانُ عَدُوٌّ لِأَخِيهِ الْإِنْسَانُ لِأَنَّهُ مَحْكُومٌ بِغَرِيْزَةِ الْبَقَاءِ.. لِلْحِفَاظِ عَلَى اسْتِمْرَارِيَّةِ الْمَجْتَمَعِ لِأَبَدٍ مِنْ عَقْدِ اجْتِمَاعِيٍّ، يَتَحَقَّقُ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ تَنَاوُلِ الْفِرْدِ عَنِ جِزْءٍ مِنْ أَنَانِيَّتِهِ الشَّخْصِيَّةِ..» وَانْتِظَالَ مِنْ أَطْرُوحَاتِ الْمَفَكِّرِيْنَ الثَّوْرِيْنَ تَبَلُورَ عِلْمِ الْجَمَاعِ وَحَقَّقَ تَرَكَمًا مَعْرِفِيًّا مَرْنًا يَتَجَاوَبُ مَعَ الْعِلْمِ الْآخَرِيِّ وَيَنْهَلُ مِنْهَا بِاسْتِمْرَارٍ كَ (الفلسفة الهيرمينوطيقية والتجريبية والفيزياء والبيولوجيا والرياضيات والإحصائيات..).

وَمَا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ عِلْمَ الْجَمَاعِ لَمْ يَنْتِجْ جِهَازَهُ الْمَفَاهِمِيَّ مِنْ فِرَاقٍ، وَلِهَذَا يَقْتَرِحُ الْمُؤَلِّفُ فِي مَقْدَمَةِ كِتَابِهِ إِطْلَالَ عَلَى أَسْوَ عِلْمِ الْجَمَاعِ وَيَسُوقُ هُنَا مِثَالَيْنِ عَنِ الْحَرَكَةِ الْفِكْرِيَّةِ فِي فِرْنَسَا وَأَلْمَانِيَا مِثْلًا فِي فِرْنَسَا عَلَى الْخِصُوصِ كَانِ التَّفَكِيرُ فِي الْمَجْتَمَعِ حَاضِرًا بِقُوَّةٍ وَمِنْ ثَمَّ ظَهَرَتْ فِلْسَفَةُ الْعَقْدِ الْجَمَاعِيِّ مَعَ رُوسُو، بِحَيْثُ اسْتَعْرَضَ الْبَاحِثُ مَخْتَلِفَ مَقْوَلَاتِ رُوسُو وَأَثَرَهَا فِيمَا بَعْدَ عَلَى ثَوْرَةِ عِلْمِ الْجَمَاعِ مِثْلُ: «الْحَيَاةُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَسْتَمِرَّ فِي ظِلِّ حَرْبِ الْكُلِّ ضِدَّ الْكُلِّ.. وَالْإِنْسَانُ عَدُوٌّ لِأَخِيهِ الْإِنْسَانُ لِأَنَّهُ مَحْكُومٌ بِغَرِيْزَةِ الْبَقَاءِ.. لِلْحِفَاظِ عَلَى اسْتِمْرَارِيَّةِ الْمَجْتَمَعِ لِأَبَدٍ مِنْ عَقْدِ اجْتِمَاعِيٍّ، يَتَحَقَّقُ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ تَنَاوُلِ الْفِرْدِ عَنِ جِزْءٍ مِنْ أَنَانِيَّتِهِ الشَّخْصِيَّةِ..» وَانْتِظَالَ مِنْ أَطْرُوحَاتِ الْمَفَكِّرِيْنَ الثَّوْرِيْنَ تَبَلُورَ عِلْمِ الْجَمَاعِ وَحَقَّقَ تَرَكَمًا مَعْرِفِيًّا مَرْنًا يَتَجَاوَبُ مَعَ الْعِلْمِ الْآخَرِيِّ وَيَنْهَلُ مِنْهَا بِاسْتِمْرَارٍ كَ (الفلسفة الهيرمينوطيقية والتجريبية والفيزياء والبيولوجيا والرياضيات والإحصائيات..).

